يكون التعـــاون بين الكبـار، وكلاهما كان زاهدا، ومنقطعا للعلم والفكـر، ولا يريد من الدنيا ومن فيها شيئا يضطره إلى الخضوع أو التملق.

وأثارتنى أحاديث الدكتور عبد العزيز كامل عن الدكتور حسين مؤنس فأخذت أبحث عن كتبه وأقرأها وأناقش الدكتور عبد العزيز كامل فيما جاء فيها.. وفتحت لى هذه الكتب عالما رحبا أطل منه على التاريخ والحضارة الإسلامية.

وحين التقيت بالدكتور حسين مؤنس بعد ذلك بسنوات كرئيس لمجلس إدارة دار المعارف التى تنشر مؤلفاته، ورئيسا لتحرير مجلة أكتوبر التى ظل ينشر فيها مقالا أسبوعيا بانتظام لسنوات طويلة، وكانت دهشتنا نحن الاثنين أن أول لقاء بدا وكأنه استكمال للقاءات سابقة، فبدأنا فى مناقشة طالت عن بعض أفكاره وكتبه ومواقفه، وبعدها ظللت انتظر مقاله وأنا فى عجب من هذا المفكر الكبير الذى تجاوز السبعين والمشغول بأبحاثه ومؤلفاته ومؤتمراته وأسفاره فى مهام علمية، كيف يجد وقتا لكتابة مقاله بانتظام وعناية بالغة، وكيف يستطيع من كان مثله غارقا فى الكتب والأسفار القديمة أن يظل بمثل هذه اليقظة الفكرية، والحساسية فى رصد الظواهر الاجتماعية بما يطرأ عليها من تغير !

وفى رأيىً أن شخصية الدكتور حسين مؤنس كباحث وأستاذ تختلف عن شخصيته ككاتب مقال سياسى واجتماعى فى مجلة أكتوبر، فهو بالشخصية الأولى عالم، مدقق، منقطع الصلة بالحاضر تقريبا : وهو بالشخصية الثانية مفكر وناقد وأديب غارق فى هموم المجتمع، ومعايش للناس العاديين فى الحارة والقرية والمدينة، يشعر بمشاعرهم، ويشاركهم همومهم وأحلامهم، ويرصد شكواهم وتطلعاتهم، ويجعل قلمه صوتا للحق لا يحيد، ولا يجامل، ولا ينافق.

وفى مناخ الحرية الذى تحقق للصحافة المصرية، أطلق الدكتور حسين مؤنس لقلمه العنان، فلم يعد يحاذر، أو يكتفى بالإشارة والتلميح، فأصبح